رحلت أمي وأُغلق باب الجنة!

إلى أُمي التي رحلت عنا ظهيرة يوم الجُمعة المُنصرم، وخلفتنا بقايا عطرها بالدعاء وحفنة من الذكريات في 25/07/1441

لكل شيء بالحياة بداية ونهاية، فرحم ا من أودع خاتمة نبضه بالخير والصلاح..

أجل، لكل واحدٍ منا حكاية تجاه أُمه ومدارها وسوارها، فهي قُطب الرحى الذي تعالى على العقبات، وتسامى فوق الردهات.. بالمُساندة والتربية والرعاية دون توانٍ وراء أبي الحاني بكلامه وسلامه، والمُتعب لكد لقمة عيشه ومرامه.. فهذا جبينه وتمطُره، وذاك ساعده وتشمُره..

من هُنا..
رحل والدي قبل ثمانية عشر سنةٍ على وجه التقريب، ولحقته جدتي منذ أربع سنواتٍ مُتفطرة، ولحقتها أُمي رحمها ا بأفضل الأيام، وشُيعت لمثواها الأخير وجوار رحمة رب العالمين ظُهر يوم السبت الموافق لليلة المبعث الشريف لنبي الأقوال السامية والأفعال المُتنامية على الصراط الهادي والمُستقيم..

ومن باب الاستشهاد لإخواتي وأخواتي يتذكرون تواتر كلام أبي الدائم: "إن صبرتم أُجرتم والقضاء جاري، وإن جزعتم أُثمتم والقضاء جاري"، وأيضاً استحضار جدتي وأُمي للهجتهما الحساوية: "يا ا من سفرتيه لحفرتيه"..

حقيقة، "فراق الأحبة غربة"، كما حدّثت به الأخبار، ولكن ما حال ذاك الشباب الذي أنهك يتاماه برحيلها؛ وهذا المُسجى الذي ظل فوق سرير العلة والمرض لسنواتٍ عدةٍ، وفي غيبوبة تامة، وركود الشعور والاستجابة؟!
فرحمة ا شاملة ورافلة بالآلاء والنعم، متى ما سلمنا للقضاء والقدر.. فأين النبي المُصطفى المُختار؛ وآله الأطهار؛ وصحابته الأبرار؛ فعين الخالق الكريم تحرس الجميع بالسؤدد والإجابة..

نعم، من المواقف الجميلة التي تسكن شريط الذاكرة والسرد، كان الوالد يحترف حرفة النجارة بمدينة الهفوف، ومن أوائل أصحاب (المناجر للموبيليا) المعروفة، وما بين أوائلها لعمل الأشغال الناعمة..

كغرف النوم ونحوها.. حيث عمر ورشته (التوفيق) من الآن للوراء نصف قرنٍ، وقد عمل مع الوالد المرحوم ثلة من الشباب الواعي والطموح، فمنهم مسؤول عن المقاسات، ومن هم المشرف على المبيعات والتسويق، أمثال: صادق المسلمي، وحسين الغريري، وعبد الهادي العبد اللطيف، وصادق الغريري، ومنصور الخليفة، وغير الكثير الذين لم توثقهم (كاميرة كودك الفورية القديمة) بالنسبة لي.

واعتقد الكثير لا يعلم بهذا النصاب والمعلومة التي سوف أطرحها إلا القريب المُقرب، حيث كانوا (الصبيان) يعملون بالنهار، وفي فترة الليل تنزل الوالدة مع الوالد (رحمهما ا) من باب بيتنا المؤدي للمحل المعروف حالياً كمعرض للأبواب.. لإكمال بعض الأعمال المُترتبة عليها بالتنظيم، كإلصاق (الفرميكا) المتعددة الألوان على الخشب السويدي، وتنعيم الأطراف (بالرندة)، وتثبيت (الأزياج، والبتاتات) وغيرها بين محلات تموين المُعدات آنذاك لمحل العم الحاج خليل بو زيد، ومحل العم المرحوم الحاج علي الجعفر بو خضر..

وفي الضفة الأُخرى تُدير جدتي (أم علي رحمها ا) جُل الأمور.. وما زالت عناقيد الذكرى تتحدث عن أطباق فطور هذا الدكان بين صُحون العصيدة، والفاصوليا، والبلاليط، والرهش، وفتح (أغراش البيبسي والأفري كولا) بمنشار السحب، وتصاعد الغطاء للسقف ويرتطم بالأرض تارة أُخرى.. ولم تزل تبعات سقوطي من الدرج الحديدي عالقة على ثغر التبسم للذي حملني هُناك إلى الآن!

وكذلك عمل الوالد رحمه ا (كحملدار) وصاحب حملة القرين بالهفوف لخدمة الحجاج والزوار، وصاحب الرعاية والتأسيس لمجلس القرين أو البن قرين بحي الرفعة الشمالية بهفوف الأحساء، إضافة لأعماله المتعددة الأُخرى كالحياكة، والبناء، وإنشاد الجلوات، وذبح الذبائح، وطبخها بالأفراح والأتراح على مستوى المنطقة وبعض القرى المجاورة..

وما برحت استلهم من سرحاني رحلاته الخمس بالسنة الهجرية للمدينة المنورة ومكة المكرمة طوال وجود حملته، وانفتاح أبوب يده المُشرعة للمعارف التي أكتسبها، وخلفته طهارة السيرة، ونقاء المسيرة، والحمد على هذه النعمة الزاخرة، والجواهر الفاخرة..

وما أقسى تلك الدموع التي حملها أصحابها إليّ عبر اتصالهم وسؤالهم.. فذاك من يسكن بجوارنا بالحنين، وتلك من تندب كلامها بالرنين.. فمن أواسي حينها وطنين آذانها؛ أأُواسي من تقاسمنا معه رغيف العيش؛ أم أُربت على أكتاف من حضر التشييع؛ أو أمسح تقرحات أعين من يقول: "أُمك أخت ما تنسي"، "أُمك أمنا".. فرحمة ا عليكِ يا فاطمة بنت محمد، ورحم ا والديكم إخواني وأخواتي على

أنفاسكم، وإحساسكم، ومشاعركم الرقراقة.. ورحم اللهم من جعل جنة أُمهاتكم تسير تحت أقدامهن، وسماء من أنسلكم تحت جلباب الرحمة والوفاء والعطاء والعطف والتحنان.. على أولادكم وأحفادكم وجميع من يعز علينا وعليكم يا رب العالمين..